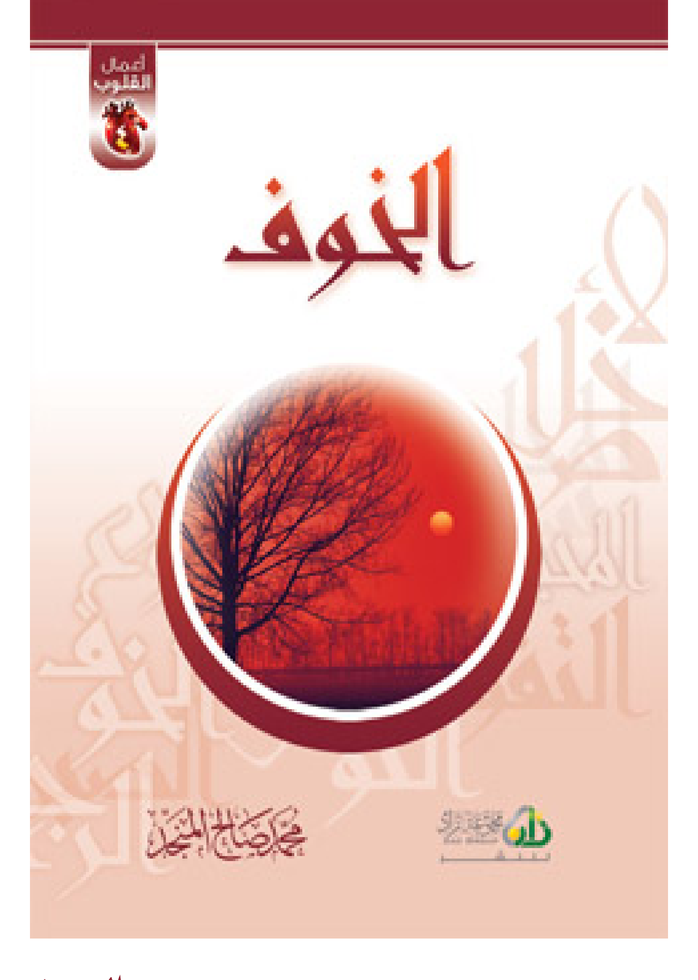


الخـوف

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الخوف ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ١-٠٧-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الخوف ٢- العقيدة الإسلامية أ.العنوان

ديوي : ٢٤٠ ١٤٣٠/٢٠٧٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

الخوف



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الخوف من الله تعالى سمة المؤمنين، وآية المتقين، وديدن العارفين، خوف الله تعالى في الدنيا طريقٌ للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، ودليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصفاء القلب، وطهارة النفس.

وسنتطرق في هذا الكتيب لبيان معنى الخوف، وأهميته، والفرق بينه وبين الخشية، ثم نذكر شيئا من ثمراته العاجلة والآجلة، والأسباب الجالبة له.

وهي الرسالة **الرابعة** ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية ،وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منه خائفين، وله راجين، ولرحمته وعطائه مؤملين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أهمية الموضوع

للخوف أهمية خاصة في شريعة الإسلام؛ لأنه يدفع الناس إلى الأعمال الصالحة، ويبعدهم عن الوقوع في الأفعال الفاجرة.

كما أن الخوف هو طريق القرب من الله تعالى، وهو سبيل المؤمنين العارفين بالله الذين يريدون الآخرة ويعملون لها.

قال أبو حفص -رحمه الله-: (والخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربتَ منه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه)[1].

وقد امتدح الله أهل الخوف في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٣).

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لاَ يَا بنت الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ**»[1].

قال الحسن -رحمه الله-: (عملوا – والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً!)[2]. أي: إساءة في العمل وأمناً من عذاب الله!.

وما فارقَ الخوفُ قلباً إلا خَرِبَ، فإذا سكن الخوفُ القلوبَ أحرق مواضع الشهوات فيها، وطرد عنها إيثار الدنيا.

فكم أطلق الخوف من سجينٍ في لذته كانت قد استحكمت عليه سكرتُه! وكم فك من أسير للهوى ضاعت فيه همته! وكم أيقظ من غافل التحف بلحاف شهوته! وكم من عاق لوالديه رده الخوف عن معصيته! وكم من فاجر في لهوه قد أيقظه الخوف

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٢).

من رقدته! وكم من عابدٍ لله قد بكى من خشيته! وكم من مسافر إلى الله رافقه الخوف في رحلته! وكم من محبٍّ لله ارتوت الأرض من دمعته!.

فلله ما أعظم الخوف لمن عرف عظيم منْزلته.

والخوف ليس مقصوداً لذاته، فليس المقصود أن نخاف لأجل أن نخاف، بل ليكون الخوف وسيلة تصلح أحوالنا.

ولو كان الخوف مقصوداً لذاته لما ذهب عن أهل الجنة!!، لكن لما كان دخول أهل الجنةِ الجنّةَ نهايةً لما طُلِب منهم، وليس فيها عمل ولا مجاهدة للنفس في العبادات ومقاومة للهوى والشهوات؛ لم يكن في تلك الدار خوف، قال تعالى: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

ومن خاف اليوم أمِنَ غداً، ومن أمِن اليوم خاف غداً.

قال ابن رجب-رحمه الله-: (والله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه، ونصب الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه

ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال)[١].

ولذلك كرر الله سبحانه وتعالى ذكر النار، وما أعده الله فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيه من العظائم والأهوال.

ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه؛ وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة المفسّرة للقرآن، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات، وأن ذلك هو الذي رَقَّاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السامية، من شدة الاجتهاد في الطاعة والكف عن دقائق الأعمال المكروهة فضلاً عن المحرمة.

---

(١) التخويف من النار (٥).

تعريف الخوف

الخوف في لغة العرب:

مأخوذ من مادة (خ و ف) التي تدل على الذعر والفزع.

يقال: خافَه، يخافُه، خوفاً، وخَيْفاً، ومَخافة، والأمر منه: خَفْ.

ومنه: التخويف، والإخافة، والتخوف.

والنعت: خائفٌ، وهو الرجل الفَزِع.

وخوَّفَ الرجلَ: جعل الناسَ يخافونه، وفي التنْزيل العزيز: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٧٥] أي: يجعلكم تخافون أولياءه، وقال ثعلب معناه: يخوّفكم بأوليائه.

وطريق مَخُوفٌ ومُخِيفٌ: تخافه الناس[١].

وقوم خَوْفٌ، أي: خائفون، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف:٥٦] أي: خائفين عذابه، طامعين في ثوابه[٢].

---

(١) لسان العرب (٩/ ٩٩-١٠٠).

(٢) تاج العروس، مادة (خوف).

والخوف في الاصطلاح:

هو توقع حلول مكروهٍ أو فواتِ محبوب لعلامة مظنونة أو معلومة.

أو هو اضطراب القلب وحركته وفزعه من مكروه يناله أو محبوب يفوته.

وهو ضد الأمن. ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية.

قال ابن قدامة رحمه الله: (اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

مثال ذلك: من جنى على ملكٍ جنايةً ثم وقع في يده، فهو يخاف القتل ويُجوّز العفوَ، ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وتفاحش جنايته وتأثيرها عند الملك، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية بل عن صفة المخوف وعظمته وجلالته، إذ قد علم أن الله سبحانه لو أهلك العالمين لم يبالِ ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه وبجلال الله واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل؛ يكون خوفه)[(١)].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٦٢).

معاني الخوف في القرآن

وردت كلمة الخوف في القرآن مشاراً بها إلى عدة معانٍ مما يحصل بسببها الخوف ومن ذلك:

١- القتل أو الموت: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [البقرة:١٥٥].

٢- القتال: قال جل جلاله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب:١٩].

٣- توقع حصول أمر غير مرغوب فيه: قال تعالى: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ [البقرة:١٨٢] أي: علم.

وقال: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٢٩] أي: يعلما.

وقال: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ [النساء:٣] أي: علمتم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

٤- النّقْص: قال عز شأنه: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧].

٥- الخشية من العذاب والعقوبة: قال تعالى: ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

قال ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لصحيح البخاري: (باب: الخوف من الله عز وجل)[1].

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله: "باب الخوف من الله عز وجل" هو من المقامات العَلِيَّة، وهو من لوازم الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لله وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(١).

وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه.

وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، والأنبياء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٢) [الأحزاب:٣٩].

(١) رواه مسلم (١١٠٨).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٣).

الفرق بين الخوف والخشية

الخوف والخشية لفظتان متقاربتان، وبينهما خلاف بسيط في المعنى، فالخوف هو الفزع من أي شيء، أما الخشية فهي الخوف والفزع من الشيء المعظم.

قال المناوي: (الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون على علم بما يخشى منه، ولذلك خص بها العلماء)[(١)].

وقال الزبيدي-رحمه الله-: (الخشية: خوف يشوبه تعظيم)[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (الخشية: خوفٌ مبنيٌّ على العلم بعظمة من يُخشى وكمال سلطانه).

فعلى هذا تكون الخشية أخص من الخوف من ناحية الشيء الذي يُخاف منه؛ لأنه لابد أن يكون معظماً.

(١) التعاريف (٣١٤).
(٢) تاج العروس (١/ ٤٥).

وأيضاً فالخشية أخص من جهة مَنْ تقع الخشية منه، حيث إن الخشية مخصوصة بالعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، أي: خوفاً مقرونا بمعرفة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ للهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»[١]؛ لأنه إمام العالمين والعارفين.

وقال ﷺ: «**وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**»[٢].

فعلَّق كثرة البكاء وقلة الضحك الدالة على الخوف والخشية بالعلم.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء والعارفين، وعلى حسب قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.

---

(١) رواه مسلم (١١٠٨).
(٢) رواه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجة (٤١٠٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وجوب الخوف

الخوف من الله سبحانه وتعالى واجب من أهم الواجبات الشرعية، ومن أعظمها؛ لما يترتب عليه من الآثار المهمة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (منْزلة الخوف هي من أجلّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد)[1].

قال ابن الوزير -رحمه الله-: (أمّا الأمان فلا سبيل إليه، والخوف هو شعار الصالحين).

ووجوب الخوف دل عليه أدلة من القرآن والسنة، منها:

الأمر بالخوف الله سبحانه تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[البقرة:٤٠] فهذا أمر برهبته، والأمر يقتضي الوجوب.

وقال تعالى:﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

قال السعدي-رحمه الله-: (أمر الله بخشيته التي هي رأس كل خير، فمن لم يخشَ الله لم ينكفّ عن معصيته، ولم يمتثل أمره).

جعل الخوف شرطاً من شروط الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وفي هذه الآية: وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان؛ فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله)[(١)].

وصف الرسل بأن مهمتهم الإنذار والتخويف:

الإنذار في لغة العرب: الإعلام بالشيء الذي يخيف، قال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-: (الإنذار إخبار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور)[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٥٧).
(٢) المفردات (مادة: نذر).

وقد جاءت آيات من القرآن واصفة الرسل بأنهم منذرون، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام:٤٨].

كما أن الله عز وجل أمر النبي ﷺ بالإنذار، فقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**». قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحجر:٨٩].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨).

وقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وكان من أوائل أوامره تعالى لرسوله ﷺ الإنذار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ [المدثر:١-٢].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآية: (خوِّف أهلَ مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا)[1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْماً فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ**»[2].

والنذير العريان: أصله أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه، فانقلب إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش وسلبوني، فرأوه عرياناً فتحققوا بصدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦١).
(٢) رواه البخاري (٦٤٨٢) ومسلم (٢٢٨٣).

وقد كان العرب إذا رأى أحدهم جيشاً يغير على قبيلته قد اقترب وهو في الخارج ولا تدري قبيلته جاء يركض ويخلع ثيابه وهو يصرخ حتى يبين لهم هول المصيبة التي ستنْزل بهم وفداحة الخطر، وهذه أشد أنواع النذارات عند العرب، وقد استعارها النبي ﷺ في خطابه لهم، فخاطبهم بما يعرفونه من حالهم، ليبين لهم هول ما جاء به(١).

ذكر العذاب حتى يخاف العباد:

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر:١٦].

قال ابن كثير: (﴿ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوّف به عباده. قال: لينْزجروا عن المحارم والمآثم، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي: اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي)(٢).

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣).

ذكر الآيات لتخويف العباد:

لقد بين سبحانه أن ما يرسله من الآيات لتصديق الأنبياء عليهم السلام إنما يرسله من أجل التخويف، فقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء:٥٩].

وكذلك الآيات الكونية فإنما يريها الله لعباده لأجل أن يخافوا، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد:١٢].

وكذلك الخسوف والكسوف، هاتان الآيتان اللتان يريهما الله لعباده لأجل أن يتذكروا الآخرة ويخافوها؛ فإن الشمس والقمر سيذهب نورهما يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١]، والخسوف والكسوف يذكران بذلك فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ الله تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**»[٢].

(١) رواه البخاري (٣٢٠٠).
(٢) رواه البخاري (١٠٤٨) ومسلم (٩١٥).

ابتلاء الصحابة والمسلمين ليعلم الذي يخاف منهم:

لقد ابتلى الله الصحابة ﭫ بابتلاء عظيم ليظهر الذي يخاف من الذي لا يخاف، قال تعالى في شأن الصيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [المائدة: ٩٤].

فهؤلاء الصحابة الذين كان كثيرٌ من طعامهم قائماً على الصيد، وكان الصيد من الرياضات المحببة إلى نفوسهم، يبتليهم الله بالصيد في هذا المقام العظيم؛ لأجل أن يعلم الذي يخافه من الذي لا يخافه، دلالة على عظم شأن الخوف عند الله.

ولقد نجح الصحابة في ذلك، وتبين أنهم يخافون الله في السر والعلانية، بعكس اليهود الذين حرّم الله عليهم الصيد يوم السبت فاستحلوا محارم الله بأدنى الحيل، ونصبوا الشباك يوم الجمعة وسحبوها يوم الأحد مليئة بالحيتان والأسماك، وقالوا: ما اصطدنا يوم السبت، فلم يخافوا الله فهلكوا، أما الصحابة فخافوا الله فنجوا.

وبعد أن عَلِمْنا وجوب الخوف من الله وأهميته لابد أن نتنبه لنقطة هامة، وهي أن الخوف من الله على مقامين:

المقام الأول: الخوف من عذاب الله.

المقام الثاني: الخوف من الله نفسه.

والمقام الأول هو الذي ينْزع إليه عامة الناس، فهم يخافون من دخول النار، ويخافون من عذاب الله الدنيوي والأخروي، وقد لا يتنبهون إلى عظمة الله ولا يتنبهون إلى أهمية الخوف من ذاته ونفسه سبحانه.

فالعامة لا يخافون إلا عند ذكر الإحراق، وذكر السلاسل، وأنواع العذاب ... إلخ.

وأما أهل العلم والفقه العالمين بصفات الله وأسمائه وجلاله، فهم يخافون من الله أشد الخوف، لعلمهم بعظمته وجلاله وسطوته وجبروته، ويقدمون خوف الله على خوف عذابه وعقابه، وترتعد فرائصهم عند ذكره سبحانه وتعالى.

قال ابن قدامة –رحمه الله– في مقامي الخوف:

(المقام الأول: الخوف من عذاب الله، وهذا خوف عامة

الناس، وهذا النوع من الخوف يحصل بالإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية.

وأما المقام الثاني: فهو الخوف من الله نفسه عَزَّوَجَلَّ وهو خوف العلماء والعارفين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨]؛ لأنه لما كملت معرفتهم بربهم وأسمائه وصفاته أثرت الخوف، ففاض الأثر على القلب، ثم ظهر على الجوارح بهذه الأعمال).

وليس المقصود التقليل من شأن عذاب الله وعقابه، وإنما المقصود بيان علو وفضل أحد المقامين على الآخر.

نسأل الله أن يحفظنا من عذابه، وأن يرزقنا الخوف من جنابه.

مراتب الخوف

ينقسم الخوف إلى أقسام وأنواعٍ، بعضها محمود، وبعضها مذموم، بعضها مطلوب شرعاً، وبعضها منهي عنه في الشرع، وعلى المسلم أن يعرف أنواع الخوف حتى يعبد الله على بصيرة وعلم، بعيداً عن الضلال والجهل.

وأنواع الخوف هي:

أـ الخوف الواجب:

وهو الخوف الباعث على فعل الواجبات، وترك المحرمات، بأن يعلم المرءُ أنه إن ترك ما أمره الله به فإنه معاقب، وإن فعل شيئاً مما نهاه الله عنه فإنه محاسب.

فهذا الخوف واجبٌ على كل مسلم أن يتحلى به؛ ليدفعه إلى الوصول إلى الجنة والابتعاد عن النار.

بـ الخوف المستحب والمندوب:

وهو كل خوفٍ زائد عن القدر الواجب، ولم يصل إلى

القدر المنهي عنه، حيث يدفع المسلم لفعل المستحبات، والابتعاد عن المكروهات والشبهات.

وهو الخوف الذي دفع بالصالحين إلى قيام الأسحار، وصيام الهواجر، والتصدق بالأموال، والجهاد في سبيل الله، والتشمير في نوافل الطاعات، والكف عن دقائق المكروهات، وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي مبعثها الخوف من الرب الجبار.

وهاك شيئاً من الأحاديث التي تدل على خوف الصحابة من ربهم سبحانه وتعالى خوفاً زائداً عن حد الخوف الواجب؛ نذكرها هنا لعلهم يكونون قدوة لنا:

عن العرباض بن سارية ﵁ قال: (قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد ؟ ...)[(١)].

وعن أنس بن مالك ﵁: أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة،

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجة (٤٢) واللفظ له، وصححه الألباني.

فذكر أن فيها أمورا عظاما، ثم قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا**». فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول: «**سَلُونِي**». فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال: من أبي؟ -وكان ينسب لغير أبيه- قال: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**» -فصار إثبات نسبه بالوحي-. ثم أكثر أن يقول: «**سَلُونِي**». فبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا. فسكت. ثم قال: «**عُرِضتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الحَائِطِ، فَلَمْ أَرَ كَالخَيْرِ وَالشَّرِّ**»[١].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم، فيراعون تلك المنْزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنْزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنْزلة)[٢].

---

(١) رواه البخاري (٥٤٠) ومسلم (٢٣٥٩).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٣).

جـ الخوف القاصر:

وهو ذلك الخوف الذي يقوم بالإنسان عند سماعه للموعظة، أو قراءة آية من كتاب الله، أو اطلاعه على حديث من أحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام؛ ثم بعد ذلك لا يؤثر فيه التأثير المطلوب، ولا يأتي بالنتيجة المرجوة، فما إن تنتهي تلك الموعظة أو الصلاة حتى يرجع إلى ما كان عليه من الفساد وأعمال الشر، وكأنه لم يسمع شيئاً قبل قليل، ولم تذرف عيناه من خوف وهول العذاب الوبيل.

وفائدة الخوف إنما تحصل بحصول الثمرة، وهي الندم على ما فات، والإقلاع عن الذنب، ونحو ذلك من الفوائد.

وصاحب هذا الخوف يُرْجى له الخير، ويحتاج إلى أن يعقد عزمه، وأن يخلص نيته؛ وسوف يترقى بعد ذلك إلى أنواع الخوف المعينة على الخير.

د ـ الخوف المحرم والمذموم:

هناك خوف لم يحمده الشرع ولا العقل، وهو الخوف الزائد عن الحد، والذي يؤدي إلى القعود عن العمل وترك الطاعات.

فبعض الناس من شدة الوعيد، ومن شدة خوفه من عذاب النار يصاب باليأس والإحباط، ويظن نفسه أنه لا ينجو من النار مهما عمل من الأعمال الصالحة، فيترك العمل لأجل ذلك؛ لأنه -كما يدعي- لا فائدة منه.

وهذا الخوف قد حرمه الشرع وذمه العلماء؛ لأنه يؤدي نقيض المطلوب من الخوف، فهو لا يوصل إلى الجنة، ولا يدفع صاحبه إلى فعل الخير؛ بل يقعده عن المطلوب ويهوي به في نيران الجحيم.

ثـمرات الخوف من الله

لكل عبادة فرضها الله ثمراتها الدنيوية والأخروية، والخوف عبادةٌ من هذه العبادات التي لها ثمراتٌ متعددة، ولا شك أن من اطَّلع على ثمرة الشيء وفائدته كان أكثر رغبة فيه، فمن فوائد الخوف من الله سبحانه وتعالى:

أـ ثـمرات عاجلة:

دفع العبد إلى الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان:٩-١٠].

ففي هذه الآية أنهم ما أطعموا ليحصلوا على جزاء دنيوي، وما فعلوا العمل الصالح لينالوا الثناء والشكر من الناس، وإنما قاموا بذلك خوفاً من الله سبحانه وتعالى، وخوفاً من اليوم العبوس الشديد الهول العظيم الأمر.

دفع العبد إلى القيام بالأعمال الصالحة:

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [النور:٣٦-٣٧].

فهذه الأعمال الصالحة من ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتسبيح وغير ذلك إنما كان دافعها الخوف من يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ»**[1].

أدلج: أي سار من أول الليل، كناية عن الاجتهاد في السير[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي.
(٢) فيض القدير (٦/ ١٢٣).

ومعنى الحديث: أن من خاف من الله سبحانه وتعالى ومن عذابه اجتهد في الأعمال الصالحة، ومن اجتهد في الأعمال الصالحة بلغ المنْزل الذي هو الجنة.

تكدير السيئات وعدم التلذذ بها:

قال ابن قدامة -رحمه الله-: (ومن ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات ويكدّر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة مكدرة)[(١)].

وليس المقصود تكدير اللذائذ المباحة، فالرسول ﷺ -وهو سيد الخائفين- استمتع بمباحات الدنيا بقدر، قال ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ**»[(٢)].

بل المقصود تكدير اللذات المحرمة.

وكيف تتكدر اللذات المحرمة؟.

تتكدر بتذكر عذاب الله ووعيده لمن وقع فيها، فهذا الزاني

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٦٣).

(٢) رواه النسائي (٣٩٣٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وتلك الزانية لو تذكرا وعيد الله تعالى للزناة في الآخرة وعذابه، وهذا القيح والصديد الذي يسيل منهم، وشرب الزناة من القيح والصديد، بل لو تذكرا فقط ما ينتظرهم في القبر من عذاب البرزخ لتكدرت تلك اللذة المحرمة، ولنغصت عليهم تلك الفاحشة الرذيلة.

وشارب الخمر: لو تذكر أنه سيحرم من خمر الجنة لتكدر عليه شربه.

ثم قال ابن قدامة -رحمه الله-: (كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سمّاً، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعبَ الهمِّ لخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنّة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع في مخالب سَبُعٍ ضَارٍ، لا يدري أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه؟ ولا شغل له إلا ما وقع فيه.

فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف

بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال)[١].

حصول الثناء من الله تعالى:

لقد أثنى الله على أقرب عباده وهم الأنبياء، لخوفهم منه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

كما أنه تعالى أثنى على عباده المؤمنين بوصفهم بالخوف من عذابه، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج:٢٧-٢٨].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

وقد أثنى الله على أولي الألباب ووصفهم بأنهم من أصحاب الخوف، فقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٦٣).

هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:١٩-٢١] فالخوف من الله يدل على أن صاحبه صاحب عقل، وعلى أنه من أولي الألباب، فهو راجح العقل يعرف الشيء الذي يخوّف حقاً، ويفهم الأسباب الداعية للخوف جيداً.

التمكين في الأرض:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

فالخوف من الله يؤدي إلى التمكين في الأرض، والانتصار على الأعداء، ووراثة أرضهم وديارهم.

النجاة من كل سوء:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ الله تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَالعَدلُ فِي الرِّضا وَالغَضَبِ،**

وَالقَصْدُ فِي العَدْلِ وَالفَقْرِ»[١]، فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيه من كل سوء، والنجاة المذكورة في الحديث عامة؛ فتشمل النجاة في الدنيا والآخرة.

ب- ثمرات آجلة:

الاستظلال بظل العرش يوم القيامة:

ودليله حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»[٢]، فكان خوفه من الله المانع له من ارتكاب الفاحشة سبباً لكي يكون في ظل العرش يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق قدر ميل، فيغرق الناس في العرق!.

وقوله لها: «**إني أخاف الله**» ظاهر الحديث أنه يقولها بلسانه ليزجر المرأة عن فعلها، وليذكر نفسه ويصر على موقفه، ولا يتراجع بعد إعلان المبادئ.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٥٢)، وحسنه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

وكذلك من هؤلاء السبعة: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً ففاضتْ عَيْنَاهُ**»، فهذه الخشية التي سببت انهمار الدمع كانت سبباً في الاستظلال بظل العرش يوم القيامة.

رفع الخوف يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه جل وعلا قال: «**وَعِزَّتِي، لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

النجاة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضرْعِ**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عَيْنَانِ لاَ تَمَسَّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله**»(٣).

---

(١) صحيح ابن حبان (٦٤٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.
(٢) رواه الترمذي (١٦٣٣) وقال: حسن صحيح.
(٣) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الألباني .

الحصول على المغفرة والرحمة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ - أي: رزقه- الله مَالاً فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حضر: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطْ، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ الله عز وجل فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»[1].

نيل رضا الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٨]. فدلت الآية على أن رضا الله عز وجل إنما ناله هؤلاء المذكورون بسبب خشيتهم من ربهم.

دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

(١) رواه البخاري (٣٤٧٨).

قال ابن قدامة-رحمه الله-: (فضيلة كل شيء بقدر إعانته على طلب السعادة، وهي لقاءُ الله تعالى والقربُ منه، فكل ما أعان على ذلك فهو فضيلة، قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[1].

قرة العين والنعيم في الجنة:

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٦٥).

الأسباب الجالبة للخوف

قد يقول قائل: لقد علمنا منْزلة الخوف من الشريعة الإسلامية.

وعلمنا الثمرات الدنيوية والأخروية التي تحصل لمن تحقق فيه الخوف.

ولكن: كيف ندخل ضمن هؤلاء الركب، فنخاف من الله ونخشاه حق خشيته؟.

فنقول: إن هناك أسبابا تجلب الخوف وتعين على حصوله، نذكر منها:

تذكر جلال الله وعظمته:

إن من أعظم الأسباب المعينة على خوف الله تعالى تذكر جلاله وعظمته، وأنه سبحانه عزيز جبار متكبر قاهر لا يعجزه شيء في السموات والأرض، وأنه ما منع السماوات أن تسقط على الأرض إلا إمساك الله لها، ولو شاء لأهلك من في السماوات والأرض في طرفة عين.

فإنه من تفكر في ذلك خاف الله لا محالة؛ لأن التفكر يوقعه على صفات الله جل جلاله وكبريائه، ومن شهد قلبه عظمة الله وكبرياءه علم شأن تحذيره -جل وعلا- عندما قال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تعالى في شأن عظمته: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر، ثم قال: «**يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ**» فرجف بِرسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به![1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضهُ بِيَدِهِ- وَقَبَضَ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ-: أَنَا الجَبَّارُ،**

---

(١) رواه أحمد (٥٤١٤)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟» ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟!(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الكُرْسِيِّ إلاَّ كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلاَةِ عَلَى الحَلَقَةِ**»(٢).

وهؤلاء الملائكة الذين هم من أعلم المخلوقات بالله يخافون الله أشد الخوف؛ لمعرفتهم جلاله وعظمته، فهم إذا سمعوا صوته غشيهم من الفزع ما غشيهم، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾ [سبأ:٢٣].

فإذا عرف الإنسان عظمة الرب عز وجل جلب له ذلك الخوف منه.

(١) رواه ابن ماجة (١٩٨)، وصححه الألباني.
(٢) صحيح ابن حبان (٣٦١)، وصححه الألباني.

تدبر كلام الله عز وجل:

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آيات الكتاب العزيز، فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمرّ والتخفف للقاء اليوم الثقيل)[1].

ويقول ابن الجوزي -رحمه الله-: (والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص؛ بتفكر وتدبر لتصدّع من خشية الله قلبه، وتحيّر من عظمة الله لبُّه)[2].

تدبر كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته:

لأنه سيد المتقين، وإمام الخائفين، وأشد الناس خشية لرب العالمين.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(٢) التذكرة في الوعظ (٧٣-٧٤).

عدم التقصير في الواجبات:

كالصلاة، والصيام، والحج .. إلخ؛ فإن هذه الأعمال تجعل العبد قريباً من الله سبحانه ، وقربه من ربه سيجعله - ولا شك - خائفاً منه، وجلاً من عقابه.

الخشية من عدم قبول العمل:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]. فكم واحدٍ منا من المتقين كي يُقبل عمله؟.

تذكر الذنوب السابقة:

إن تذكُّر الذنوب التي وقع فيها الإنسان في الأوقات الفائتة لهي من أشد المعينات على خوف الله تعالى؛ فإن العبد يعلم يقيناً أنه قد قام بهذه المعاصي، ولا يعلم هل سيغفر الله له ذنوبه؟ أم أنه سيعاقبه عليها؟.

التفكر في المصير:

سيأتي يومٌ علينا معشر المسلمين تُقبض فيه أرواحنا، ويُذهب بنا إلى حفرة ضيقة مظلمة، ونُترك وحدنا ليس معنا

أنيس ولا جليس، ثم نُسأل عن أعمالنا في هذه الحياة، ونمكث إما في حفرة من حفر النيران -نعوذ بالله منها-، وإما في روضة من رياض الجنان - نسأل الله من فضله -، ثم بعد ذلك نخرج ونُحشر، ونقف في يوم شديد الحر شديد الزحام، ثم بعد ذلك نمر على الصراط، ويؤمر بنا إما إلى جنة وإما إلى نار.

إن التفكر في مصير البشر هو طريقٌ لحصول الخوف من عذاب الله.

التفكر في الموت:

إن من الأسباب الجالبة للخوف: التفكر في الموت وشدته، وأنه لا مفر منه، وأن الموعد مع الموت آتٍ ولابد ولا ريب فيه، إما في ليلٍ أو نهارٍ، أو في صيفٍ أو شتاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨]، وأن الإنسان إذا فر من شيء فإنما يفر من شيء وراءه، ولكن الموت الذي يفر منه أمامه!!.

فتذكر الموت يوجب الخوف من الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ - الموت - فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ**

أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ العَيْشِ إِلاَّ وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلاَ ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ»(١) .

قال أبو العتاهية:

أَلاَ رُبَّ ذِي أَجَلٍ قَدْ حَضَرْ ... كَثِيرُ التَّمَنِّي قَلِيلُ الحَذَرْ
إِذَا هَزَّ فِي المَشْيِ أَعْطَافَهُ ... تَعَرَّفْتَ مِنْ مِنْكِبَيْهِ البَطَرْ
يُؤَمِّلُ أَكْثَرَ مِنْ عُمْرِهِ ... وَيَزْدَادُ يَوْماً بِيَوْمٍ أَشَرْ

التفكر في القبر وأهواله:

قال ﷺ: «**كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ، أَلاَ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْراً»**(٢) .

وعن البراء رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلَّ الثرى، ثم قال: «**يَا إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»**(٣) .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٥٤): رواه الطبراني والبزار وإسنادهما حسن.
(٢) رواه الحاكم (١٣٩٣)، وصححه الألباني.
(٣) رواه ابن ماجة (٤١٩٥)، وحسنه الألباني .

التفكر في القيامة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣].

التفكر في النار:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ [المدثر:٣٥] فهي أعظم إنذار، كبرت منذرة داهية عظيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا**»[1].

وقال الحسن: (ما أُنذرت الخلائق بشيء قط أفظع منها).

فعلى المرء أن يتفكر إذا دخل أهل النار النار، ماذا يوجد فيها من الأهوال من شدة عذابها وخطر شأنها؟!! وماذا أعده الله فيها للمشركين والعصاة؟!.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٠١)، وحسنه الألباني.

فتفكر في ما في النار من الأهوال وكرر ذلك على ذهنك، واستحضره في قلبه؛ وستجد الخوف قد دخل قلبك.

أنشد بعضهم:

وَكَيْفَ قَرَّتْ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوِ اسْتَلَذُّوا لَذِيـذَ النَّـوْمِ أَوْ هَجَعُـوا
وَالمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْـراً عَلاَنِيَـةً
لَوْ كَـانَ لِلْقَـوْمِ أَسْـمَاعٌ لَقَـدْ سَـمِعُوا
أَفِـي الجِـنَانِ وَفَوزٌ لاَ انْقِطَاعَ لَهُ
أَمِ الجَحِـيمُ فَـلاَ تُبْقِـي وَلاَ تَـدَعُ
لِيَنْـفَـعَ العِلْمُ قَبْـلَ المَوْتِ عَالِمَهُ
قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا[١]

التأمل في صفات الناجين:

إن الإنسان إذا عرف مصيره؛ عليه أن يبحث عن صفات الناجين، ويقارن أفعاله بأفعالهم، وصفاته بصفاتهم.

---

(١) المدهش (٢٦٦).

فيجد أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢]. فعلق المغفرة بأربعة شروط: التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، والاهتداء.

وفي سورة العصر أقسم الله تعالى أن الناس في خسران مبين، واستثنى نوعاً من الناس: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر:٣]. فذكر الله للنجاة من الخسران أربعة شروط: الإيمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فمتى ما تأمل الإنسان في صفات الناجين وقارنها بأفعاله سيجد التقصير في أعماله، مما يرقق قلبه، ويشعره بالخوف من عدم الالتحاق بركب النجاة.

استشعار أن النار ستمتلئ بالناس والجن:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣].

فهل يا ترى نكون من الناجين؟ أم نكون ممن حقت عليهم كلمة رب العالمين؟.

كما أنه تعالى أقسم أنه سيملأ جهنم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]. وبهذه الآية ينخلع قلب المسلم، ولابُدَّ أن يجد الخوف طريقه إلى قلبه إذا تأمل فيها.

كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني. ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟. فقال: أخبرنا أنا واردوها، ولم نُخْبَرْ أنا صادرون عنها(١).

التفكر في عاقبة محقرات الذنوب التي يحتقرها الناس:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ**»(٢)، فهناك ارتباط بين الأعواد وإيقاد النار وبين الذنوب وما تسبب من نضج جلود العصاة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٦٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢٨٦٠)، وصححه الألباني .

العلم بأنه قد يُحال بينه وبين التوبة:

إن الإنسان إذا أقبل عليه ملك الموت يريد نزع روحه تمنى لو بقي في هذه الحياة ليعمرها بالصالحات، ويترك الشهوات والمحرمات، ولكن هيهات هيهات. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

وكما يحال بين الإنسان والتوبة بالموت، فيحال بينه وبينها بأشياء أخرى، كالفتن المضلة التي تجعله يذهل عما حوله، وكالتسويف، والشبهات، والإصرار على المعصية والشهوات، فإذا مات تحسر حين لا تنفع الحسرة: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم:٣٩].

التفكر في سوء الخاتمة:

لقد كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، وكان الرجل منهم مهما بلغ من الصلاح والتُّقى يخشى أن يتحول ذلك في آخر حياته إلى فساد وفجور وكفر.

وهذا إمامهم ﷺ مع شأنه ودرجته كان أكثر دعائه: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[(١)].

ولو تفكرنا في حال من خُتِمَ له بسوء لرأينا هولاً وعجباً، ولتقطعت قلوبنا خشية وفرقاً، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:٥٠].

مجالسة الصالحين والعلماء المتقين:

ومن الأمور المهمة لمن أراد أن يخاف ربه: مجالسة أناس يكسبونه خشية وخوفاً من الله، وهم الصالحون والعلماء المتقون، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف:٢٨].

صاحب أصحاب الخشية، وأصحاب القلوب الرقيقة الذين إذا سمعوا الذكر تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله، وعن هؤلاء فابحث.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

قراءة سير الخائفين:

إذا عدمت الصالحين من حولك، فاقرأ سير الخائفين من الله تعالى، واصحب أنفاسهم.

أَهْلُ الحَدِيثِ هُمُ أَهْلُ الرَّسُولِ وَإِن
لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَــهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُــوا

- يقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم أمثال ركب المِعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذُكِرَ الله مَادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، فانهَمَلت أعينُهم حتى تبل - والله- ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين)[1].

- وأبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد)[2].

- وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (يا ليتني كنت هذه التبنة،

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٦).
(٢) رواه البزار (٨٤).

ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أك شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً)[١].

- ويقول رضي الله عنه: (لو مات جمل ضياعاً على جانب الفرات لخشيت أن يسألني عنه الله يوم القيامة)[٢].

- ويقول أيضا رضي الله عنه: (لو نادى منادٍ من السماء يا أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا واحداً لخفت أن أكون أنا هو!!)[٣].

- وعثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: (وددت لو أنني لو مت لم أبعث)[٤]، وهو الذي كان يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً، وتخرق مصحفه من كثرة ما قرأ فيه، ومات شهيداً ودمه على المصحف.

- وابن عباس رضي الله عنهما كان تحت عينيه خطّان كالشِّراكَيْن الباليين من الدمع[٥].

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٠٥).
(٣) حلية الأولياء (١/ ٥٣).
(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٩).
(٥) المدهش (٤٣٥).

- وعائشة رضي الله عنها تقرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧] في صلاتها فتبكي وتُبكي، وتقول رضي الله عنها: (يا ليتني كنت نسياً منسياً)[١].
- وأبو عبيدة رضي الله عنه يقول: (وددت لو كنت كبشاً فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا -أي شربوا- مرقي)[٢].
- وعمران بن حصين رضي الله عنه يقول: (يا ليتني كنت رماداً تذروه الرياح)[٣].
- وحذيفة رضي الله عنه يقول: (وددت أن لي إنساناً يكون في مالي، ثم أغلق علي بابي فلا يدخل علي أحد حتى ألحق بالله)[٤].
- وأبو هريرة رضي الله عنه يغشى عليه ثلاث مرات وهو يحدث بحديث أول ثلاثة تسعّر بهم النار[٥].
- وعمر بن عبد العزيز-رحمه الله- تسأله زوجته شيئاً فيقول

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٦١٦).
(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤١) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٤١٣).
(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٣٩).
(٥) رواه الترمذي (٢٣٨٢).

بصوت حزين: (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فتبكي فاطمة وتقول: (اللهم أعذه من النار)[١].

فلا يعدم المسلم أن يسمع عن هؤلاء، ويقرأ عن هؤلاء الصالحين من الخائفين ممن مضى!.

والنبي ﷺ قال: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله** ﷻ»[٢].

سماعُ المواعظ والخطب:

لقد رزق الله بعض الدعاة والخطباء قدرة على التأثير في نفوس الناس، وكلمة سهلة سلسلة تصل إلى قلب المستمع فتؤثر فيه، ومثل هؤلاء حريٌّ بمن أراد ترقيق قلبه وزرع الخشية من الله فيه أن يستمع لهم، وأن يجالسهم بين الحين والآخر.

الدعاء:

الدعاء من أهم الأسباب المحصلة لذلك، فعلى المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الخوف منه.

---

(١) تاريخ دمشق (٧٠/ ٣٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة(٨/ ٢٦٤)، وصححه الألباني.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْوَاعاً، لَكَ مُخْبِتاً، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي**»[(١)].

وكان ﷺ يدعو بقوله: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ**»[(٢)].

وبقوله: «**اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»[(٣)].

الابتعاد عن موانع الخوف:

فإن للخوف موانع تمنعه، كالمعاصي، وحب الدنيا وزخرفها، والرفقة السيئة، والغفلة، وتبلّد الإحساس.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥١)، وصححه الحاكم.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني.

الخاتمة

الخوف إذا باشر قلب العبد فاض أثره على الجوارح وظهر، وانتهى عما نهى الله عنه واعتصم بما به أمر، ودعوى الخوف من غير ذلك دعوى كاذبةٌ لا حقيقة لها، على المسلم أن يراجع نفسه فيها حتى يستقيم لأمر الله.

قال ابن شبرمة -رحمه الله-: (عجبت لهم كيف يحتمون من الطعام مخافة الداء، ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار!!)[١].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (كل عاصٍ لله فهو جاهل، وكل خائف منه فهو عالم مطيع)[٢].

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يخشونه في الغيب والشهادة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب الكمال (١٥/ ٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢-٢٣).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة إجاباتها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة)

١- من هم المرادون في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾؟

٢- لماذا نخاف من الله؟ (ما الحكمة من خوف القلوب)؟.

٣- ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾؟.

٤- ما الفرق بين الخوف والخشية؟.

٥- ما معنى قوله ﷺ : «**إني أنا النذير العريان**»؟.

٦- ما هي مقامات الخوف؟

٧- اذكر قصتين تدلان على الفرق بين خوف الصحابة من الله، وخوف اليهود منه.

٨- لماذا كان خوف المقربين أشد من خوف غيرهم؟.

٩- لماذا خوف الملائكة أشد من خوف الناس على وجه العموم؟.

١٠- إذا حدثتك نفسك بالمعصية، فحاول أن تكدر عليها حتى تتركها، فكيف يكون هذا التكدير؟.

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية)

١- (من خاف اليوم أمن غداً، ومن أمن اليوم خاف غداً) ما معنى العبارة؟.

٢- كيف يؤدي الخوف من الله إلى التمكين في الأرض؟

٣- اذكر بعض الأسباب التي تعين على الخوف من الله، غير ما ذكر في هذا الكتيب.

٤- ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ لقد تمنى بعض السلف أن يتقبل الله منه ركعتين فقط ويموت بعدها، مستدلاً بهذه الآية على معنىً بينه، فما هو هذا المعنى، ومن قائل هذا؟.

٥- (تصحيح أعمال القلوب هو الأصل، وتصحيح أعمال الجوارح تابعٌ لذلك الأصل) اشرح هذه العبارة.

٦- هلا ذكرت قصة من قصص خوف بعض الصالحين في هذا العصر.

٧- لماذا كانت مجالسة الصالحين تكسب الخشية من الله؟.

٨- كيف يعالج صاحب الخوف القاصر نفسه؟.

٩- (الخشية: خوف يشوبه تعظيم) اشرح هذه العبارة.

١٠- ما حكم الخوف من الأسد والذئب ونحو ذلك؟.

المحتويات